تابع.... أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا في العصور الوسطى

-الأندلس:

لم تختلف اسبانيا عن بقية أقطار الغرب الأوربي، من حيث الجمود الفكري والحضاري، عشية دخول الفاتحين المسلمين إليها، وما إن استقر المسلمون في هذا الإقليم بدؤوا بتنشيط الحياة في مختلف مجالاتها، وأصبحت المدن الأندلسية من أغنى مدن الغرب، وخاصة قرطبة. وحقيقة فإن المسلمين في الأندلس لم يدخروا جهدا في تحصيل العلوم والمعارف، فقد وصلت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس درجة متقدمة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي(الرابع الهجري)، وهذا بعد أن أصبحت قرطبة حاضرة للخلافة الأموية، ومن أعظم وأجل حواضر العالم المتقدم آنذاك[1].

و"لقد ظلت قرطبة سيدة المدن، وكانت بضواحيها الثماني والعشرين في عصر عبد الرحمن في منتصف القرن العاشر أكبر مدن أوربا كلها"، وزيادة على القصور احتوت قرطبة آلاف المنازل ومئات المساجد والحمامات، بالإضافة إلى عشرات المدارس، منها المدارس العليا، كما كانت هناك مكتبات عامة تحوي آلاف الكتب[2]. لقد كان صدى حواضر الأندلس ذا تأثير على رجال الغرب آنذاك، إذ كانت رحلة جربر دي أورلياك Gerbert d`Aurillac (838-1003م)، -أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني Sylvestre II – إلى الأندلس من أجل نهل العلوم الإسلامية، في قرطبة واشبيلية، ولما عاد إلى روما انتخبوه لمنصب البابوية، حيث قام بإنشاء مدرستين عربيتين في روما، وفي ريمس Reims بفرنسا، كما أمر بإنشاء مدرسة شارتر Charter أيضا، ويرجع له الفضل في نشر الأرقام العربية في الغرب، بالإضافة إلى ترجمة بعض الكتب في الرياضيات والفلك[3].

وفي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي(الخامس الهجري)، بدأ عصر جديد في ميدان النقل والترجمة من علوم المسلمين إلى اللغة اللاّتينية، وكان ذلك في مدينة طليطلة بعد سقوطها في يد ألفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة Castille (1072-1109م) سنة 1085م/478ه، ولقد كانت مساهمتها فعالة في نقل العلوم العربية الإسلامية إلى اللغة اللاّتينية بصفة خاصة[4]. ويقول الدكتور كويلر يونج Guyler Young أستاذ العلاقات في جامعة برنستون:" كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الثقافة العربية الإسلامية، كما وأن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، والذي أخذ به علماء أوربا، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوربيين بالعالم الإسلامي عن طريق دولة العرب في الأندلس"[5].

لقد كان القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين(السادس والسابع الهجريين) عصر صحوة أوربية، فقد أصبحت الحواضر الإسلامية مناطق استقطاب لطلاب العلم والمعرفة من شتى أنحاء الغرب، وكانت الأندلس هي التي احتضنت حركة ترجمة العلوم العربية الإسلامية إلى اللغة اللاّتينية، وبذلك ساهمت في الاطلاع على التراث الإسلامي، مما دفع بعجلة النهضة الأوربية[6].

صقلية:

بعد أن تمكن الأغالبة من فتح جزيرة صقلية سنة 827م/212م، ومواصلة مسيرتهم الجهادية في أقاليمها واستقراهم بها ومن جاء بعدهم من المسلمين، أمكن أن تقوم بها حضارة عربية إسلامية شاملة، في مدن الجزيرة ومنها بالرمو Palermo ومسينا Messina وسرقوسة Siragusa ، حيث انتشرت القصور والمساجد والبيمارستانات (المستشفيات) والأسواق والقلاع والقناطر وصناعة الورق والسفن، كما كانت مشاركتهم في التجارة، بالإضافة أنهم مكنوا اللغة العربية ورسخوا عاداتهم وتقاليدهم. وظهرت شخصيات إسلامية في مختلف العلوم، منهم علي بن حمزة البصري وابن البر ومحمد النحوي وإسماعيل بن خلف ومحمد بن إبراهيم التميمي، وغيرهم كثير[7].

وتقول المستشرقة الألمانية بخصوص الوجود العربي الإسلامي في جزيرة صقلية:" وحولوا خرائب صقلية إلى حدائق غناء، واستوردوا لها من بلادهم أشجار النخيل، وزرعوا فيها أشجار البرتقال والفستق والموز والزعفران، وحولوا الجزيرة الفقيرة بالقطن وقصب السكر إلى بلد يزخر بالخيرات، وزينوها بالمساجد الرائعة والقصور، التي كانت تعج بالشعراء والمغنيين والفلاسفة والأطباء، وعلماء الرياضيات والطبيعة...واستخدم المتعلمون في كتاباتهم ورقا أبيض كان أول ورق عرفته أوربا[8].

وباحتلال النورمان لجزيرة صقلية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، حاولوا الاستفادة من منجزات المسلمين في شتى مجالات الحياة، وقد ظهر التأثر واضحا في نظام الحكم والإدارة والاقتصاد والعمران، كما تأثروا باللغة العربية وكتبوا بها[9]، وقد شكلت صقلية جسر عبور للثقافة العربية الإسلامية إلى الغرب.

-بلاد الشام:

لقد شكلت بلاد الشام حلقة اتصال بين الشرق والغرب، ومنها انتقلت العلوم العربية الإسلامية إلى الغرب، وخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وكان ذلك عصر الحروب الصليبية. فالصراع بين الشرق والغرب حفز هؤلاء الغربيين لاستكشاف الشرق وحضارته والاستفادة من منجزاته، لأنهم وجدوا في الحضارة العربية الإسلامية ما كانوا يفتقدونه، وللاستفادة من ذلك تعلموا اللغة العربية لكي يتمكنوا من التعامل مع

المسلمين[10]، وخاصة في التفاوض معهم في ميادين السلم والحرب. ومن بين الذين اهتموا باللغة العربية وتذوقوا آدابها وليم الصوري من المرجح أنه ولد في بيت المقدس قبيل سنة 1130م من أبوين ينتسبان إلى أسرة فرنسية، تعلم العربية واليونانية، بالإضافة إلى اللاّتينية، وبناء على توجيهات سيده عموري الأول ملك بيت المقدس(1174-1163م) ألف كتابا عن تاريخ الشرق عموما والغرب بوجه خاص، منذ ظهور الإسلام إلى زمنه (القرن الثاني عشر الميلادي)[11].

وقد تفاعل الصليبيون مع السكان المحليين وخاصة المسيحيين، بأن تزوج هؤلاء من مسيحيات بلاد الشام، كما عقدوا الاتفاقيات مع المسلمين لحماية الصيادين والتجار والمسافرين، بالإضافة إلى استفادة الصليبيين من مختلف الوثائق والمصادر العلمية العربية الإسلامية، وحملوها معهم إلى الغرب، كانت بحق أساس النهضة في أوربا، ومن الأدلة على شغف الأوربيين بالعلوم والمعارف، ما قام به الإمبراطور فردريك الثاني، بمراسلة السلطان الكامل الأيوبي حول مسائل الهندسة(المسائل الصقلية)، في الوقت الذي كان يتفاوض مع المسلمين على القدس، وبهذا تكون الحروب الصليبية قد فتحت آفاقا للغرب[12].

في حين هناك من يقول بأن الصليبيين قصدوا المشرق للاستيطان وليس لطلب العلم، وأن المملكة الصليبية في بيت المقدس لم تنل حظا من علوم المسلمين[13]، وعلى الرغم من ذلك فإن الاستيطان الصليبي في الشام طيلة قرنين من الزمان، قد سمح لهؤلاء بمجاورة المسلمين والتعامل معهم، خاصة في التجارة، والاطلاع على منجزاتهم.